المحاضرة الثالثة : مبادئ عامة حول النظرية والنموذج

تمهيد

- مفهوم النظرية
- فوائد النظرية
- مفهوم النموذج
- صعوبات صنع النموذج
- المدخل النظري

تمهيد :

إن هدف العلم هو زيادة فهمنا للظواهر التي تحيط بنا والوصول إلى تعميمات تنطلق من الادلة العلمية, وكذلك التنبؤ بنتائج ظواهر ما. ويتحقق ذلك من خلال وضع نماذج ومن ثم نظريات تسهل عملية الفهم وتبسط مكونات الظاهرة, وتساعد أيضا على استيعاب العلاقات الكامنة المفترض وجودها بين تلك المكونات. فالعالم او الباحث يحاول دائما تنظيم المعلومات التي يحصل عليها من التجربة او الملاحظة لأحداث معينة ويضع لها نمطا أو قالبا معينا. وانطلاقا مما سبق سنحاول تعريف كل من النظرية والنموذج مع توضيح الفرق بينهما.

تعريف النظرية :

النظرية نسق فكري يضم مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات المترابطة التي تمت بلورتها بدقة من خلال تصور الواقع المدرك والمشاهد. وتقترح النظرية رؤية منهجية منظمة للظاهرة بهدف تحديدها والتنبؤ بها. ويتم التعبير عنها بقوانين تترجم علاقة بين ظواهر بعينها.

وتعرف ايضا بأنها عبارة عن مجموعة البناءات والافتراضات المترابطة التي توضح العلاقات القائمة بين عدد من المتغيرات وتهدف الى تفسير ظاهرة ما والتنبؤ بها.

وبلورة النظرية ينطلق من المعطيات الموجودة في الواقع التي يقدمها البحث العلمي او التي يستكشفها الباحث, وعند تسجيل النتائج يتم وضع مجموعة من الفرضيات والقوانين التي تشكل في مجملها مضمون النظرية. وتتم عملية التنظير وفق المخطط التالي:

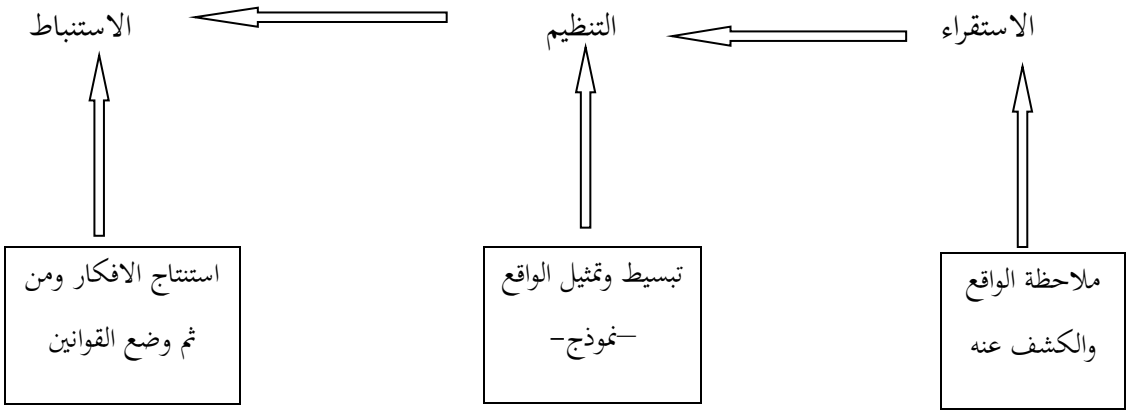

وتجدر الاشارة الى ان النظريات تبنى على النماذج, لأن هذه الاخيرة تبسّط الظاهرة تمهيدا لفهمها. ويمكن تشبيه النموذج بالهيكل العظمي أما النظرية فتمثل كائنا حيا متكاملا, أو يعتبر النموذج المخطط الذي يرسمه المهندس المعماري على الورق, في حين ان المنزل بعد بنائه يمثل النظرية.

فوائد النظرية :

1- توجه التفكير العلمي بتحديدها لمجال البحث وكذا الوقائع التي ينبغي جمعها عن الظاهرة المدروسة, فهي بمثابة الموجه لإجراءات وعمليات البحث العلمي والاستدلال العقلي, إضافة الى كونها تحدد أوجه النقص في المعرفة.

2- تجميع الحقائق والمفاهيم والمبادئ وترتيبها في بناء منظم ومنسق مما يجعلها ذات معنى وقيمة, أي تقدم إطارا تنظيميا تصوريا للحقائق.

3- تقدم توضيحا وتفسيرا لعدد من الظواهر والاحداث الطبيعية والانسانية من خلال تلخيص الحقائق وتبيان ما بينها من علاقات.

4- تساعد في التنبؤ بالعديد من الظواهر وتوقع حدوثها في ظل معطيات ومؤشرات معينة.

تعريف النموذج :

هو تمثيل مبسط للعلاقات التي توحّد مجموعة المعطيات, بمعنى أن النموذج يعطي صورة تخطيطية للواقع الذي يرغب في تبسيطه وفهمه. أي إن النموذج أدوات رمزية (نستخدم فيه الارقام- الاشكال- الصور- الكلمات...) تساعدنا على فهم الظاهرة وإدراك العلاقة بين عناصرها.

وهناك **نماذج بنائية** تُظهر مكونات الظاهرة وخصائصها وعدد وحجم وترتيب الاجزاء المنفصلة للظاهرة. وتوجد **نماذج وظيفية** تقدم صورة للاسلوب الذي بمقتضاه يعمل النظام، وهي نماذج تشرح طبيعة القوى او المتغيرات التي تؤثر في الظاهرة.

مثال : إذا اخذنا المخ فإن نموذجه البنائي يتحدث عن هيكله العظمي وأجزائه المختلفة في حين يصوّر لنا نموذجه الوظيفي كيفية انتقال السيالة العصبية وطريقة إصداره للأوامر وشبكة التوصيلات الكهربائية.

وعند تصميم نموذج ما يجب مراعاة جانبي الواقعية والتركيز. بمعنى ان النموذج يجب ان يكون مشابها للنظام الذي تناوله أي هو صورة مطابقة –قدر الامكان– لما يحدث في العالم الحقيقي. وأن يقدم اصطلاحات مجردة تصف خصائص الظاهرة. ويقصد بالتركيز ظهور التفاصيل المهمة المرتبطة بالظاهرة أي إعادة تقديم الخصائص الرئيسية للنظام. (عصر الظاهرة مثل الطماطم المصبرة او العصير)

صعوبات صنع نماذج :

- تجميد العملية لوصف عناصرها او مكوناتها.
- نسيان او اغفال بعض العناصر او فصل العناصر اليت لا تقبل الفصل.
- استخدام اللغة التي تتغير من وقت لاخر وتحتمل التأويل.

وإذا خصصنا الحديث عن نماذج الاتصال فإنه تجدر الإشارة إلى عدم سهولة بناء نماذج اتصالية بالشكل نفسه الذي تحدث به عملية الاتصال, لأن هذه الأخيرة عملية ديناميكية وتحويلها إلى نموذج ينقلها إلى مستوى التجريد ويجعلها صورة صناعية جامدة, وقد يؤدي تجميد عملية ديناميكية الى تشويهها الى حد ما. إلى جانب صعوبة حصر مكونات او المتغيرات المؤثرة في العملية الاتصالية نتيجة تداخل العديد من العوامل.

وبالرغم من ذلك تبقى النماذج أداة للفهم ولتبسيط الظواهر وتنظيم الحقائق, وما هي الا انعكاس لاهتمام خاص عند صانعه أي لا وجود لنموذج مثالي.

المدخل النظري:

يستخدم مفهوم المدخل للدلالة على المرجعية العلمية او المعرفية التي يمكن طرح مشكلة البحث وتفسير نتائج دراستها في إطارها. وتتنوع تسميات هذه المداخل أو الاصول فنجد من يطلق عليها الخلفية النظرية للبحث أو الجذور الفكرية للبحث أو التوجه النظري، وكلها تتفق على أنها مجمل النظريات التي يعتمد عليها الباحث في مجال الاعلام والاتصال قصد دراسة موضوعه.

ويمكن التفرقة بين المدخل النظري والنظرية في ان الأول أشمل وأعم ومن الممكن أن يتضمن العديد من النظريات. وأشهر المداخل النظرية في البحوث الاعلامية نذكر المدخل السيبرنيطيقي والمدخل الوظيفي والمدخل السلوكي والمدخل النقدي ومدخل تأثيرات وسائل الاعلام.